دلالة اختلاف التراكيب النحوية في الآيات المتشابهة في المعصية والمختلفة في العقاب في القرآن الكريم (دراسة دلالية)

The significance of the difference in grammatical structures in the verses that are similar in sin and different in punishment in the Holy Qur'an (a semantic study)

جامعة الكوفة- كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)

University of Kufa-College of Education for Girls (Arabic Language Department)

أ. د. علاء ناجي المولى **زهراء شكري عز الدين**

كلية التربية للبنات **Zahraa Shukri Ezz-edine**

alaan.almawla@uokufa.edu.iq
07827862794

الملخص

تعنى هذه الدراسة بالبحث عن دلالة اختلاف التراكيب النحوية في الآيات المتشابهة في المعصية والمختلفة في العقاب ، وذلك لتحديد الفروق الدقيقة في كيفية استعمال هذه التراكيب ، وايجاد نقاط الالتقاء والاختلاف التي تساعد على تحديد البنية الدلالية التي ترد فيها ؛ لكونها المرتكز الاساس الذي تظهر عن طريقه دلالة كل تركيب .

وقد تم تقسيم هذه الدراسة الى مقدمة تعرضنا فيها الى اهمية الموضوع وسبب اختياره، ثم انتقلنا بعد ذلك الى بيان مفاهيم التشابه والاختلاف لغة واصطلاحا ، ثم بيان دلالة الفعل والنهي، ودلالة الماضي والمضارع والنهي ، وجاءت بعد ذلك الخاتمة التي عرضنا فيها اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

Summary

This study is concerned with searching for the significance of the difference in grammatical structures in verses that are similar in sin and different in punishment, in order to determine the subtle differences in how these structures are used, and to find points of convergence and difference that help determine the semantic structure in which they .appear; Because it is the basis for the significance of each installation

This study was divided into an introduction in which we discussed the importance of the topic and the reason for choosing it, then we moved on to clarifying the concepts of similarity and difference, linguistically and idiomatically, and then clarifying the significance of the verb and the prohibition, and the significance of the past, present and prohibition, and then came the conclusion in which we presented the most important . results that we reached the study

الكلمات المفتاحية : التشابه ، الاختلاف ، التراكيب النحوية .

Keywords: similarity, difference, grammatical structures.

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدا تطيب به حياتنا ، والصلاة والسلام على خير الخلق محمد (ﷺ) وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد ...

تحتل دراسة التراكيب النحوية اهمية بالغة على صعيد الدراسات الدلالية ؛ لذا أثرنا أن تكون دراستنا لهذه التراكيب دراسة دلالية في الايات المتشابهة في المعصية والمختلفة في العقاب في القرآن الكريم على نحو تفصيلي دقيق ؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتكون المجال الذي يكشف عن سبب تشابه المعصية واختلاف العقاب .

وقد تم تقسيم الدراسة الى مقدمة بيَنا عن طريقها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى بيان التشابه والاختلاف لغة واصطلاحا ثم تعرضنا الى دراسة الفعل والنهي ، ودلالة الماضي والمضارع والنهي ، وجاءت بعد ذلك خاتمة بيَنا أهم نتائج الدراسة .

التشابه لغةً :

ورد لفظ التشابـه في المعجمات اللغوية لإفـادة معانٍ عدة ، فقد جاء فـي كتاب العين ((الشَّبَهُ: ضربٌ من النحاس يُلقى عليه دواء فيصفره ، وسُمّي شبِهاً، لأنه شُبّه بالذهب. في فلان شَبَهٌ من فلان وهو شَبهُهُ و شَبِهُهُ ، **أي**: شَبيهُهُ. وتقول شبهتُ هذا بهذا (وأشبه فلان فلاناً)، وقال الله عزّ وجلّ: ((ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ))*،أي يُشبه بعضها بعضا))([1])، وقـال الجوهري : ((هذا شبهُهُ ،أي شبيهَهُ. بينهما بالتحريك والجمـع مشابـه على غير مقياس، والشُبْهَةُ : الالتباس . والمتشابهات من الأمور: المشكلات. والمتشابهات: المتماثِلات))([2])، وجاء في مقاييس اللغة :((الشين و الباء و الهاء أَصلٌ واحد يدلُ على تشابه الشيء و تشاكُلِهِ لوناً و وصفاً. يُقال: شِبْهٌ وشَبَهٌ وشبيهٌ. والشَّبَهُ من الجواهر: الذي يُشبْهُ الذهب . والمشبِّهَاتُ من الأُمور: المشكلات. واشبَّه الأمران ، إذا أَشكلا))([3]) من التعريفات اللغوية يتضح أنّ لفظ (التشابه) يدور حول معاني الإبهام والغموض والمطابقة والمماثلة والالتباس ،وهذه المعاني اللغويـة قد ذكرها حديثـاً صاحب كتاب المتشابه بقوله: ((إن الصيغة مأخوذة من الجذر (ش ب ه) و معناه الاصلي المِثل . و لما كان الانسان لا يستطيع أن يميز بين الاشياء المتشابهة (المتماثلة) إلا بعد امعان ورؤيـة ان كانت محسوسة ، جاءت فـي اللغة الشُبهة بمعنى التباس، واشتبه الأمر بمعنى اختلط ، والمشتبهات من الامور يشبه بعضها بعضا . وإذن فمن القول بأن المتشابه هو الذي يلفه شيء من الخفاء يجعل العقول تعجز عن إدراكه في سرعة أو تذهب في فهم مدلوله مذاهب شتى))([4]).

التشابه اصطلاحاً :

للتشابه تعريفات متعددة في الاصطلاح ؛ وذلك لغموض المعنى الذي يهدف إليه لفظ تشابه. قـال ابن قتيبـة عن التشابـه بأنـه : ما ((يشبـه اللفظ فـي الظاهر ، والمعنيان مختلفان .

قـال الله عزّ وجلّ في وصف ثمر الجنة : { وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ } (البقرة:٢٥)، أي متفق المناظر ومختلف الطعوم ... يقال : اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما ، وشبّهت عليّ: إذا لبّست الحق بالباطل ... ثم قد يقال لكلّ ما غمض ودقّ متشابـه ، وان لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ، ألا ترى أنّه قد قيل للحروف المقطعة فـي أوائل السور : متشابـه ، وليس الشك فيها ، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها ، والتباسها بها))([٥]) ، أي : المتشابه ما لا يبرز المراد بظاهرة إلا إذا أقترن به ما يدل على المراد منه لغموضه([٦])وقال الكفوي بأنـّه : ((إيراد القصـة الواحـدة فـي سور شتى وفواصل مختلفـة فـي التقديـم والتأخير والترك والتعريف والتنكير والإفراد والإدغام و الفك وتبديل حرف بحرف آخر))([٧]).

من التعريفات الاصطلاحية يتضح أنّ التشابه يدلّ على الخفاء والغموض والاحتمال والالتباس، والتماثل ، ويلحظ أنّ الدلالة اللغوية للتشابه لا تختلف كثيراُ عن دلالته في الاصطلاح إذ إنّ المعنيين (اللغوي والاصطلاحي) ألتقيا في معاني الالتباس والغموض والخفاء، والتماثل.

الاختلاف لغةً :

من نعم الله على البشـر وجود الاختلاف فـي كل شيء ويعد ظاهرة طبيعيـة مثل اختلاف الافكار وتعددها ، واختلاف الوان الناس وألسنتهم وما إلى ذلك.

إنَّ لفظ (الاختلاف) من اختلف وهو مشتق من الجذر اللغوي (خَلَفَ)، فقد جـاء في كتـاب العين: ((الخَلْف :حد الفأس ـ تقول: فأس ذات خلفين وذات خلف ، وجمعه خُلُوف... وخِلافُ رسول الله ـ ص-:مُخالفته في القرآن. ورجل خالف وخالفة أي : يُخالف، ذو خلاف، وخلفة. واختلف خلافةً واحدة))([٨])، وجاء في مقاييس اللغة : ((الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة : أمرهما أَن يجيءَ شيءٌ بعد شيء يقوم مقامه ، والثاني خلاف قُدام ، والثالث التغيير))([٩])، وقال أيضاً: ((وأما قولهم : اختلف الناس في كذا، والناس خِلفةٌ أَي مختلفون))([١٠]).

الاختلاف اصطلاحاً :

قال أبو البقاء الكفوي عن الاختلاف بأنّه : ((لفظ مشترك بين معانٍ ، يُقال: (هذا الكلام مختلف) إذا لم يشبه أوله آخره في الفصاحة أو بعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على اسلوب يُخالفه والنظم المبين على منهاج واحد في النظم مناسب أَوله آخره وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة ولذلك كان أحسن الحديث وأفصحه {وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ

لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا}* وما جاز من الاختلاف في القرآن هو اختلاف تلاؤم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القرآن ومقادير السور والآيات ، والأَحكام من الناسخ والمنسوخ والامر والنهي، والوعد والوعيد))[١١]، وذكر الكفوي أنّ الاختلاف هو : الطريق الذي يكون مختلفاً لكن المراد واحد ، ويعتمد الاختلاف على دليل وهو من آثار الرحمة [١٢].

وجاء الاختلاف بمعنى الخِلاف والمخالفة وهو ((أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الأوّل في فعله في فعله أو حاله ... ولمّا كان الاختلاف بين الناس في القول يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة))[١٣]، والاختلاف افتعال من الخلاف ويعني به التقابل بين رأيين فيما يراد انفراد الرأي فيه [١٤] .

وعند النظر في الدلالة اللغوية للفظ (اختلاف) يتضح أنّه لا يبتعد عن المعنى الاصطلاحي وإنّما التقيا في معاني التغيير ، والتنازع ، والمضادة ، والتفرق، والتنوع، وعدم التساوي، ومن هنا يمكن وضع تعريف مختصر للاختلاف بأنه عدم الاتفاق، أي : أنّ يأخذ الشيء طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو كلامه مستنداً بذلك إلى دليل ، ويأتي الاختلاف بمعنى أخر وهو: أن يأخذ الشيء طريقا غير طريق الآخر لكنّ القصد واحد.

ثالثاً : دلالة اختلاف التراكيب النحوية:

إنّ الباحث والمتتبع لآي الذكر الحكيم سيجد آيات كريمة قد تشابهت في معانيها واختلفت في تركيبها فتارة يلحظ الآية الكريمة جاءت بصيغة الفعل للإشارة إلى مفهوم معين، وسرعان وبعد ذلك يجد آية اخرى قد عدلت عن الفعل واختارت صيغة اخرى للإشارة الى المفهوم السابق نفسه، وهذا ما سيكون حديث الباحثة في هذا المحل من دراستها، وتتضمن هذه الدلالة ما يأتي :

١- الفعل والنهي:

تعرض الباحثة في هذا الموضع إلى دراسة دلالة الفعل والنهي، وأثرها في توجيه تشابه المعصية واختلاف العقاب، فالفعل: ((ما دل على معنى وزمان، وذلك الزمان إمّا ماض وإمّا حاضر وإمّا مستقبل))[١٥]، والنهي (صيغة يطلب بها ترك الفعل منه بدخول حرف النهي عليه))[١٦]، وللنهي صيغة واحدة هي: لا الناهية والفعل المضارع ، ويخرج النهي إلى دلالات متعددة منها : الدعاء، والالتماس، وبيان سوء العاقبة، والتهديد ، والكراهة، والتوبيخ ، والتحقير والتيئيس [١٧].

ومما يوضع هنا من الشواهد القرآنية قوله تعالى :{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢٢). وقوله تعالى: {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر: ٨).

السورة	رقم الآية	تشابه المعصية	اختلاف تركيب المعصية	اختلاف العقاب
البقرة	٢٢	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا	صيغة نهي	لم يشر إلى العقاب بصراحة
الزمر	٨	جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا	فعل ماضٍ	قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ

المتأمل في الآيتين الكريمتين يجد أنّ المعصية متشابهة وهي: (جعل لله اندادا)، ويراد بالأنداد: ((ما كان مثل الشيء يضاده في أموره))[١٨]، لكنّ التركيب النحوي في الآية قد اختلف، واختلفت معه صيغة العقاب، ففي سورة البقرة الآية (٢٢) جاء التعبير القرآني بصيغة النهي المتكونة من (لا الناهية) وهي حرف يجزم ((الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال نحو لا تخافي ولا تحزني))[١٩]، وسميت أيضا (لا الطلبية)؛ لأنّ النهي بها يكون بطلب ترك الفعل[٢٠]، والفعل المضارع (تجعلوا)، والجعل هنا بمعنى: ((التغيير، وهو كما يكون بالفعل نحو صيّرت الحديد سيفا))[٢١]، أي: أنّ الجعل و المصير من حال الى حال أدنى بسبب الغفلة على القلوب، لذلك اشتدّ رجاؤهم وتذللوا وخضعوا لهذه الأنداد حتى صاروا يعبدون الطاغوت[٢٢]، والأوثان التي لا تفهم، وجيء بصيغة النهي ؛لأنها خبر لما قبلها بدلالة قوله تعالى :
{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ} (البقرة: ٢٢) إذ إنّ الذي أعطاكم هذه النعم ينبغي أنّ لا يشرك به، لذلك لم يشر الى العقاب بصراحة، وإنّما ختم الآية بقوله تعالى: {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}؛ لأنّ هذه الجملة ((حال من ضمير(لا تجعلوا)؛ بصرف التقييد إلى ما أفاده النهي عن قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه... وأنتم تعلمون بطلان ذلك؛ أو تعلمون أنّه لا يماثله شيء؛ أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو تعلمون أنّها لا تفعل مثل افعاله))[٢٣]، ومن هنا يتضح أنّ صيغة النهي قد افادت دلالة ((الحظر والتحريم على الفور))[٢٤] ، لذا جاء بخاتمة الآية {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} بصيغة الجملة الاسمية والتي خبرها فعل مضارع (تعلمون) التي تفيد التجدد والحدوث في زمن معين

ولم تصرح الآية بالعقاب؛ لأنّ صيغة النهي تقتضي الانتهاء الفوري عن جعل لله انداد فضلا عن الدوام على الانتهاء عن جعل لله أنداد.

أمّا في سورة الزمر الآية (٨) جاءت المعصية بالفعل الماضي (جعل لله أندادا)؛ لأنّ الجعل حتمي الوقوع، إذ أفاد الفعل الماضي دلالة ((الانقطاع))[٢٥]، أي: أنّهم جعلوا لله أندادا وانتهى الأمر، وهذا يدلّ على ((عنوان مبلغ كفرهم وأقصاه))[٢٦]، لذا جاء العقاب بقوله تعالى: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}، فإن مجيء فعل الامر (قل) ليس أمر بالحقيقة وإنّما توبيخ، وجاءت هذه الجملة استئناف بياني لتوضيح حال الإنسان الكافر المعرض عن شكر ربه، وعندما قال (تمتّع) فإنه يقصد الانتفاع المؤقت بدلالة لفظ (قليلا) أي: الانتفاع الدنيوي الزائل، ثم بين مصير هؤلاء المعاندين بأنّهم سيخلدون في النار[٢٧]، وجاء بصيغة الجملة الاسمية التي تدلّ على اللزوم والثبات والدوام بقوله تعالى: {إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} وأكدها بـ (أن) حتى لا يكون هناك إنكار للعقاب من المشركين وتطمين المؤمنين بتحقق وعد الله.

ويمكن القول مما سبق إنّ سبب اختلاف التركيب النحوي للمعصية واختلاف العقاب هو: أنّ سورة البقرة الآية (٢٢) كانت تتحدث في العموم لكلّ الناس فالنهي كان نهيا حقيقيا؛ لأنّ الناهي هو الله بأنّ لا يجعلوا له أندادا والأمر فيها حقيقي؛ لأنّ الآية جاءت بعد الآيات التي بيّنت النعم لذا يفهم من هذا النهي وجوب الإيمان، ومن يخالف فعليه أثم ذلك مع امكانية التوبة قبل الموت، فهذه الصيغة أفادت تعميق فكرة عظم المعصية أكثر عند المتلقي ، وأمّا في سورة الزمر الآية (٨) فكانت تتحدث عن المشركين ، لذلك جاءت المعصية بصيغة الفعل الماضي للدلالة على أنّ المعصية قد وقعت في جعل الانداد لله وانتهى الأمر وحددّ لهم العقاب الذي يستحقونه فجيء بالفعل الماضي للأخبار عن الحدث.

ومن الشواهد القرآنية الأخر في هذا الموضع قوله تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل:٧٤)، وقوله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} (الاسراء:٤٨).

السورة	رقم الآية	تشابه المعصية	اختلاف تركيب المعصية	اختلاف العقاب
النحل	٧٤	فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ	أسلوب النهي (لا تضربوا)	لم يشر الى العقاب بصراحة

الاسراء	٤٨	ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ	فعل ماض (ضربوا)	فَضَلّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا

في الآيتين الكريمتين يلحظ أنّ التركيب النحوي للمعصية جاء مختلفا، ففي سورة النحل الآية (٧٤) جاءت المعصية بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ (لا الناهية) التي تجعل دلالته للاستقبال، وقد جاء بالفعل (تضربوا)، والضرب يأتي بدلالات متعددة، لكن أصل الضرب ((يقع على جميع الأعمال، ضرب في التجارة وفي الارض، وفي سبيل الله يصف ذهابهم وأخذهم فيه))[٢٨]، وفي هذه الآية قد جاء بمعنى الجعل أي: فلا تجعلوا لله تعالى الأمثال، أي: لا تشركوا بالله لكنّه عدلّ عنه إلى التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا[٢٩]، لذلك جاء بصيغة النهي لتفيد دلالة التحريم؛ ولذلك ختم الآية بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} بصيغة الجملة الاسمية المؤكدة بـ (أن) وخبرها الفعل المضارع (يعلم) ثم عطف عليها الجملة الاسمية {وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} لإفادتها التأكيد على دوام التحريم واستمراره ، لكنّه لم يشر في هذه الآية للعقاب بصراحة، وإنّما قال: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}؛ لأنّ هذه الجملة الاسمية قد جاءت ((تعليل للنهي عن تشبيه الله تعالى بالحوادث، وتنبيه على أنّ جهلهم هو الذي دفعهم في تلك السخافات من العقائد))[٣٠].

أمّا في سورة الاسراء الآية (٤٨) جاء التعبير القرآني عن المعصية (ضربوا)؛ لأنّ فيه معنى الابراز ((والبيان تشبيها للشيء المبرز المبين بالشيء المثبت))[٣١]، أي: أنّ الكفّار قد شبّهوا رسول الله (ﷺ) بالساحر والمجنون والشاعر حتى أنّهم تحيروا كيف يصفون حاله لتوقعهم أنّ الناس يكذّبونهم[٣٢]، لذا جاءت المعصية بصيغة الفعل الماضي (ضربوا) للدلالة على أنّ ((الحدث وقع في الماضي على أنّه أمر كان قد تردد وقوعه مرّات عديدة))[٣٣] ؛ لذلك جاء العقاب بصيغة الجملة الفعلية التي تدلّ على الاستمرار والتجدد متمثلا بقوله تعالى: {فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}أي: إنّهم بسبب أفعالهم وابتعادهم عن طريق الحق والهداية قد ضلّوا إلا أنّهم لم يستطيعوا افساد أمرك وإطفاء نور الله[٣٤]، فالنهي أفاد دلالة الوعيد المتحقق الوقوع.

مما سبق يمكن القول: إنّ اختلاف التركيب النحوي للمعصية أدّى إلى اختلاف الدلالة، مع إنّ المعصية واحدة ويرجع ذلك إلى إنّ سورة النحل ضرب الأمثال بمعنى: ((الشيء يُضرب للشيء فيُجعل مِثله))[٣٥] أي: جعل أندادا لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد بدلالة قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} (النحل:٧٣)، لذلك جاء بصيغة النهي لطلب الترك لعظم المنهي عنه، وأمّا في سورة الاسراء

فإنّها تتحدث عن ضرب الأمثال للنبي محمد (ﷺ) بدلالة (لك) والأمثال جاء بمعنى: ((شِبه الشيء في المثال والمقدار))([٣٦])؛لأنّهم شبّهوا رسول الله بالكاهن والساحر بدلالة قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} (الاسراء:٤٧)، فجاء بصيغة الفعل الماضي للدلالة على حتمية وقوع الحدث ، فيفهم من ذلك أن ذكر المعصية بأسلوب النهي لتسلية النبي محمد (ﷺ) كي لا يضيق صدره من أعمال هؤلاء العصاة.

٢ـ الماضي والمضارع والنهي:

عند متابعة آيات الذكر الحكيم يتضح أنّ هناك آيات اعتمدت صيغة الفعل الماضي واخرى صيغة الفعل المضارع المسبوق بـ (لا الناهية)، وليس بدعا من القول إذا ذكرت الباحثة أن تغيير الأسلوب ينتج عنه تغيير في الدلالة، وهذا ما ستبينه من خلال عرضها للشواهد القرآنية وما قيل فيها، ومن ذلك قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}(ق:٢٦) ، وقوله تعالى:{الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر: ٩٦)، وقوله تعالى:{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} (الاسراء: ٢٢)،وقوله تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} (الاسراء: ٣٩).

المتأمل في الآيات الكريمة يجد أنّ المعصية واحدة وهي الشرك بالله لكنّ الأسلوب النحوي الذي وردت فيه قد اختلف، واختلف معه التعبير القرآني عن العقاب أيضا، ولتكون الصورة أقرب الى الإفهام تضع الباحثة المخطط التوضيحي الاتي:

السورة	رقم الآية	تشابه المعصية	اختلاف اسلوب المعصية	اختلاف العقاب
ق	٢٦	جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ	فعل ماض	فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ
الحجر	٩٦	يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ	فعل مضارع	لم يشر إلى العقاب صراحة
الاسراء	٣٩/٢٢	لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ	النهي	فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا/ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا

فـي سـورة (ق) الآيـة (٢٦) جـاء التعبيـر القرآنـي عـن المعصـية بالفعـل الماضـي {جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ}، والفعل الماضي هنا قد أفاد دلالـة ((الانقطـاع))[٣٧] لأن الجعل متكرر الوقوع ، وهذا مـا يـدلّ علـى أنّ الفعل قد حدث وانتهـى، أي: إنّ الكـافر قد اشـرك بـالله سبحانه وتعالى وانتهى، والآية قد جاءت مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره {فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}، و جاء العقاب بهذه الصيغة؛ لأنّ الآية معطوفة علـى قولـه تعـالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} (ق:٢٤)، وأنّ تكرار الفعل (فالقيا) قد أفاد دلالـة التوكيد لبيـان شدّة معانـدتهم وإصـرارهم علـى الشـرك[٣٨]، ومما سـبق يمكـن القـول إنّ مجـيء الفعـل الماضـي (جعـل) للدلالـة علـى كفـرهم المضاعف وعنادهم الذي تأصل في نفوسهم وعدم رجوعهم نهائيا عن هذا الشرك .

أمّـا فـي سورة الحجر الآيـة (٣٦) جـاء التعبير عن المعصـية بصـيغة الفعل المضـارع {يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ} الذي أفاد دلالة الحال والاستقبال ((للإشارة إلى أنّهم مستمرون علـى ذلك ومجددون له))[٣٩]، لذا جاءت خاتمة الآية بقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} بصيغة المضـارع الذي دلّ على الاستقبال؛ لأنه سبق بحرف التنفيس (سوف)، وقد أفادت هذه الصيغة دلالة ((تهديد ووعيد))[٤٠]، وأنّ مجـيء خاتمـة الآيـة بصـيغة الاستقبال لاستحضـار الحـال الماضية، ووصـفهم بذلك جاء تسلية للنبي محمد (ﷺ)؛ لأن الله (جلّ علاه) علم بضيق صدر النبي من أفعالهم بدلالة قوله تعـالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَـا يَقُولُـونَ} (الحجـر: ٩٧) ليبـين أنّهـم لـم يقصـروا الاستهزاء به، بل كـان فعلهم أعظم وأقبح بـأنّهم أشركوا بـالله[٤١]، وليبيّن للنبـي (ﷺ) أنّ العقـاب واقـع بهـم لا محـال بدلالـة قولـه تعـالى: {إِنَّـا كَفَيْنَـاكَ الْمُسْـتَهْزِئِينَ} (الحجـر:٩٥) فجـاء بالفعـل المضارع الذي تخرج دلالته للاستقبال ليفيد دلالـة الوعيد، أي: الإخبـار عن الأحداث المستقبلية المتحققة الوقوع قطعا [٤٢].

أمّا في سورة الاسراء الآية (٢٢) و(٣٩) يلحظ أنّ المعصية قد جـاءت بصـيغة النهـي {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ}، وصـيغة النهـي متكونـه من (لا الناهيـة) والفعل المضـارع (تجعل) الذي صرفت دلالته الى الاستقبال أي: لا تجعل الآن ومستقبلا مـع الله الهـا اخـر؛ لأنّ (لا الناهيـة) ((موضوعه لطلب الترك وتختص بالدخول علـى المضـارع وتقضـي جزمـه واستقباله))[٤٣]، أمّـا العقاب فقد اختلف التعبير عنه ففي الآية (٢٢) قال تعـالى: {فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}؛ لأن سياقها كان في بيان العقاب الدنيوي لمن يشرك بالله، إذ في الحقيقة القعود لا يعنـي مقابل الجلـوس وإنّمـا كناية عن عدم الحصول على الخيرات؛ لأنّ الحصول عليهـا يحتـاج إلـى سـعي، وأُريـد بهـذه الآيـة {فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} ((تجريد معنى النهي إلى أنّه نهـي تعريض بالمشركين؛ لأنهم متلبسون بالذم والخذلان فإن لم يقلعوا عن الشرك داموا في الذم والخذلان))[٤٤]، أمّا في السورة نفسها الآية

(٣٦) فقد تم تكرار الآية ((لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رتّب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا))[٤٥]، لكن التعبير عن العقاب جاء مختلفا متمثّلا بقوله تعالى: {فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}، فكان يقصد بيان عقاب الاخرة، ويتضح في هذه الآيات قد ذكر الله سبحانه وتعالى العقاب للمشركين بالتدريج، فعبر في الآية (٢٢) (مذموما مخذولا) أي: إنّ المشرك أقدم على الشرك وعرف بعد ذلك أنه عمل قبيح ولم يرجع عنه ، فيصبح مذموما، وأمّا المخذول فهو الضعيف أي: ضعفت أعضاؤه، وأمّا المدحور الذي ذكرته الآية (٣٦) هو المطرود بسبب استخفافه؛ لذلك جاء أول الامر أن يصير مخذولا وآخره يصير مدحورا[٤٦]، لهذه الدلالة جاء التعبير عن العقاب مختلفا لكل اية بحسب السياق والمقام، لذا فإن مجيء صيغة النهي في هذه الآيات قد أفادت دلالة النهي الحقيقي عن الشرك بالله لأنه من الكبائر، وجاء بهذه الصيغة؛ لأنّ في الحقيقة النهي عن الشرك ليس موجها للنبي (ﷺ) وإنّما ((المعنى عام لجميع المكلفين))[٤٧] فأفاد النهي دلالة دوام التحريم واستمراره.

بعد عرض اقوال المفسرين والدارسين حريّ بالباحثة أن توضح دلالة الاختلاف بين التراكيب النحوية التي جاءت بها المعصية المتشابهة ونتيجة لذلك اختلف العقاب، فإن مجيء المعصية بالفعل الماضي تدلّ على حتمية وقوع الشرك وعدم رجوعهم عنه؛ لأنّ الفعل الماضي (جعل) دلّ على معنى الانتهاء، والوقوع، والحدوث ، فكان له الأثر الكبير في بيان العقاب الشديد لمن وقع في الشرك، أما مجيء المعصية بصيغة الفعل المضارع (يجعلون) فقد دلّت على الحال وأنّ عقابهم مؤجل للمستقبل وهذا من باب الرحمة الالهية بأن هناك مدة زمنية بين وقوع المعصية وبين عقابهم، أي: إنّه من الممكن الرجوع إلى الله والتوبة عن الشرك، أمّا مجيء المعصية بصيغة النهي قد أعطت تأثيرا عميقا في نفس المخاطب بأن يبتعد عن شيء ولا يفعله، وأن فعله له عقاب شديد في الدنيا والاخرة، وهذا ما يدلّ على عظم الشيء المنهي عنه إلا وهو الشرك بالله الذي يعد من أكبر الكبائر.

الخاتمة

إنّ مجيء المعصية المتشابهة بصيغة النهي تارة وبالفعل تارة أخرى، للدلالة على أن مجيئها بالنهي هو نهياً حقيقياً وليس مجازاً، لأنّه صادر من الأعلى الى الأدنى رتبة وفيه تحذير وتخويف، أمّا مجيئها بالفعل الماضي فكان للإخبار عمّا ارتكبته الأمم السابقة؛ لذلك اختلف التعبير عن العقاب ولم يشر إليه القرآن مع صيغة النهي بصراحة للدلالة على علم المخاطبين بأنّ الله هو الواحد الأحد لكنهم منكرين لهذه الحقيقة، أما مجيء العقاب بالفعل المضارع فيدلّ على أنّ

عقابهم مؤجل للمستقبل وهذا من باب الرحمة الالهية بأن هناك مدة زمنية بين وقوع المعصية وبين عقابهم، أي: إنّه من الممكن الرجوع إلى الله والتوبة عن الشرك.

الهوامش

* آل عمران : ٧.

[١]) كتاب العين، الفراهيدي : ٤٠٤/٣،(باب الهاء والشين والباء)، يُنظر: تهذيب اللغة ، الأزهري : ٥٨/٦.

[٢]) الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، الجوهري: ٢٢٣٦/٦ (باب الهاء فصل الشين)، يُنظر: مختار الصحاح، الرازي :١٦١.

[٣]) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣/ ٢٤٣(باب الشين والباء وما يثلثهما).

[٤]) إعجاز القرآن المتشابه ، حسين نصار: ٧ .

[٥]) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة :٦٨، ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي : ٦٩/٢.

[٦]) يُنظر : متشابه القرآن و مختلفه ، المازندراني:٢/١.

[٧]) الكليات، ابو البقاء الكفوي : ٨٤٥.

[٨]) كتاب العين ، الفراهيدي : ٤/ ٢٦٥ (باب الخاء واللام والفاء).

[٩]) مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢١٠/٢ (باب الخاء واللام وما يثلثهما).

[١٠]) المصدر نفسه: ٢١٢/٢ـ٢١٣.

[١١]) الكليات ، أبو البقاء الكفوي : ٦٠.

[١٢]) المصدر نفسه :٦١ .

[١٣]) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي : ١٥٨.

[١٤]) المصدر نفسه : ٤١١ .

١٥) الاصول في النحو، ابن السراج : ١ / ٣٨.

١٦) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي : ٨٧.

[١٧]) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني : ٨٨/٣ ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي : ٧٦.

١٨) كتاب العين ، الفراهيدي : ٨ / ١٠ (باب الدال والنون).

١٩) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي : ٣٠٠.

٢٠) يُنظر: المصدر نفسه : ٣٠٠، معاني النحو، فاضل السامرائي : ٤ / ٧.

٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي : ١ / ١٩٣.

٢٢) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : ١ / ١٥٢.

٢٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود : ١ / ٦٢ – ٦٣.

[٢٤]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي : ٧٧.

٢٥) معاني النحو ، فاضل السامرائي : ٣ / ٢٦٧.

٢٦) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ٢٣ / ٣٤٢.

٢٧) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٣ / ٣٤٤.

٢٨) كتاب العين ، الفراهيدي : ٧ /٣٠ (باب الضاد والراء والباء).

٢٩) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي : ٧ /٤٣١.

٣٠) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٤ / ٢٢٣.

٣١) المصدر نفسه : ١٥ / ١٢١.

٣٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١٥ / ١٢٢.

٣٣) الفعل زمانه وابنيته ، ابراهيم السامرائي : ٢٨

٣٤) يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية : ٣ / ٤٦٢.

[٣٥]) كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٢٨(باب الثاء واللام والميم).

[٣٦]) المصدر نفسه : ٨/ ٢٢٨(باب الثاء واللام والميم).

٣٧) معاني النحو ، فاضل السامرائي : ٣ / ٢٦٧.

٣٨) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي : ١٣ / ٣٣٦.

٣٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور : ١٤ / ٩٠.

٤٠) تفسير القران ، السمعاني : ٣ / ١٥٥.

٤١) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٧/ ٣٢٨.

٤٢) يُنظر: معاني النحو ، فاضل السامرائي : ٣ / ٢٧٢.

٤٣) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، : ٣٢٣.

٤٤) التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ١٥ / ٦٤.

٤٥) المصدر نفسه : ١٥ / ١٠٦.

٤٦) يُنظر: مفاتيح الغيب ، الرازي : ٢٠ / ٣٤٤.

٤٧) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٣ / ١٧.

المصادر والمراجع

• إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د.ت .

• إعجاز القرآن المتشابه ، حسين نصار ، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٢٤هـ .

• الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت:٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان-بيروت ، د.ط ، د.ت .

• الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، أبو المعالي ، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ) ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل ، بيروت-لبنان ،ط٣ ، د.ت .

• التحرير والتنوير((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤م.

• التوقيف على مهمات، التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت:١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة ـ مصر، ط١,١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

• الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ) ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، والاستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

• الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

• الفعل زمانه وابنيته ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

• الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق : عدنان درويش ، و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، د.ط ، د.ت .

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ)،تحقيق : عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

• تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د.ط ،د.ت.

• تفسير القرآن = تفسير السمعاني ، أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت:٤٨٩هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض –المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

• جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت:١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق : الدكتور يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت- لبنان ، د.ط ، د.ت .
• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الالوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
• زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
• متشابه القرآن ومختلفه ، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني (ت:٥٨٨هـ)، انتشارات بيدار، د.ط ، د.ت.
• معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧.
• معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤.
• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق-سوريا، ط٦، ١٩٨٥.
• مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير= تفسير الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ.
• مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، د.ط ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة- مصر ، د.ط ، د.ت.

•كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، د.ط ، د.ت .